



الثلاثاء 4 أكتوبر 2022 10:18 م

تحدثنا في مقال سابق عن تأملات في وصايا لقمان لابنه وما اشتملت عليه من وصايا يربي عليها الآباء أبنائهم والمربين تلاميذهم ونتحدث هنا عن عدة قواعد تربية اشتملت عليها هذه الوصايا ونلخصها في عدة نقاط:

أولاً: تعهد الأب ابنته بالنصح والتوجيه، وهو ما يزال تحت كنفه؛ وبالأخص في المراحل الأولى من العمر التي ينهيا فيها الأبناء لاكتساب القيم.

ثانياً: انطلاق هذه الوصايا من الحكمة: فهي لم تكن اعتباطاً، بل كانت عن معرفة وخبرة، قال - تعالى -: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ} (لقمان: 12).

ثالثاً: أن يستخدم فيها وسائل الإقناع المتنوعة كما يلي:

تعليل الأمر وبيان سببه وتقبیح المنكر وتعظيم خطره: فعندما نهاه عن الشرك بين له خطره فقال: {بِأْتِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} (لقمان: 13).

تحسين المعروف وذكر فضله: وعندما أمر ولده بالصبر على مشاق الإصلاح والتغيير ومحاربة الفساد والمفسدين، ذكر له محاسن هذا السلوك وأنه من خلق ذوي العزم فقال: {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (لقمان: 17).

ربط هذه التوجيهات بالآخرة: فعندما أوصى ولده بشكر الله المنعم الأول، وشكر والديه (سبب النعمة) قرن كل ذلك بالآخرة: {أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} (لقمان: 14).

ربط التوجيهات برقابة الله وحسابه: فعندما طلب منه صحبة والديه بالمعروف - وإن كانا حريصين على شركه - قرن ذلك برقابة الله وحسابه: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (لقمان: 15).

ربط التوجيهات بمحبة الله ورضاه: فعندما نهى ولده عن مظاهر الكبر قرن ترك ذلك بمحبة الله ورضاه: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} (لقمان: 18).

رابعاً: وصايا تسعى إلى بناء الشخصية المتوازنة، فلا تجنح إلى طرف على حساب الطرف الآخر فلا طاعة للوالدين في دعوتهمما للشرك، وفي الوقت ذاته لا قطع لهذه العلاقة حفظاً للمعروف الذي كان منهما في صغره: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} (لقمان: 15)، وإذا مشى فمشيته قصد {وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} (لقمان: 19)، وإذا تكلم فهو يغض صوته: {وَاعْصِمْ مِنْ صَوْتِكَ} (لقمان: 19).

خامساً: توجيهات تراعي الأولويات، وفق ميزان الشرع، فتقدم ما هو أولى بالتقديم، وتؤخر ما حقه التأخير: فحق الله في التوحيد الخالص، أولى بالتقديم من حق الوالدين في الطاعة ولذلك بدأ بحق الله - تعالى - فقال: {بِأْتِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} (لقمان: 13)، ثم تنى بحق الوالدين.

سادسًا: توجيهات لا تحذّر من المساوئ إلا بقدر ما تعرّف بالمحاسن، ولا تنهى عن المنكر إلا بقدر ما تأمر بالمعروف، فهي ليست تربية سلبية تحذّر من الشر ثم تترك الدلالة على الخير؛ فالتربية الناجحة تقوم على الهدم والبناء، على التخلية والتخلية، على التطهير والتنمية.

سابعًا: توجيهات تقوم على اقتراح البدائل وعلى كشف الداء ووصف الدواء؛ فيقول- جل وعلا: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} (لقمان: 18)، ثم انظر إليه وهو يضع الحلول والوسائل والدواء للشفاء من هذا المرض والطفر بنقيضه فيقول: {وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُرْ مِصْرًا مِنْ سَمَاتِ السَّمَاءِ} (لقمان: 19).

ثامنًا: استخدام كل الوسائل التوضيحية المتاحة التي تتقرب بها المعاني، وبخاصة للناشئة الذين ما زالوا يحتاجون إلى الصور المحسوسة والمألوفة لتلقي المعرفة وإدراك المعاني، ولقد استخدم لقمان عدة وسائل، كضرب الأمثال واستخدام الكنايات والتشبيهات، فقال: {يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} (لقمان: 16).

تاسعًا: وصايا شاملة تسعى إلى إصلاح حال المتربي مع الله بالتوحيد الصافي وإقامة الشعائر، وإصلاح حاله بالتزام مكارم الأخلاق واجتناب مساوئها، وإصلاح حاله داخل نطاق الأسرة بالإحسان إلى والديه، وإصلاح حاله داخل المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عاشرًا: الحنان والدفع والتقريب: وهذا ما نلمسه في نداء لقمان لابنه فهو لم يناده باسمه، بل ناداه بكلمة (يا بني!) وكررها في أغلب وصاياه، وهي كلمة تزول عندها المسافات، ويلمس الأبناء في جرسها دفء الأبوة، وتجعلهم أكثر استجابة لوصايا آبائهم.